

تفسير ابن كثير

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك { أوحينا إليك قرآنا عربيا } أي واضحا جليا بينا { لتندر أم القرى } وهي مكة { ومن حولها } أي من سائر البلاد شرقا وغربا وسميت مكة أم القرى لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : إن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزرة في سوق مكة [وا] إنك لخير أرض [وأحب أرض] إلى [ولولا أني أخرجت منك ما خرجت] هكذا رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح وقوله D : { وتندر يوم الجمع } وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد وقوله تعالى : { لا ريب فيه } أي لا شك في وقوعه وأنه كائن لا محالة وقوله جل وعلا : { فريق في الجنة وفريق في السعير } كقوله تعالى : { يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن } أي يغيب أهل الجنة أهل النار وكقوله D : { إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد } قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن عبد الله بن عمرو Bهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال : [أتدرون ما هذان الكتابان ؟] قلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم للذي في يمينه : [هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم - ثم أجمل على آخرهم - لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا - ثم قال صلى الله عليه وسلم للذي في يساره : هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا] فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني نرى عملهم وإن كان هذا الأمر قد فرغ منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [سدّدوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل] ثم قال صلى الله عليه وسلم بيده فقبضها ثم قال [فرغ ربكم D من العباد - ثم قال باليمينى فنبذ بها فقال فريق في الجنة - ونبذ باليسرى وقال - فريق في السعير] وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفي بن مانع الأصبحي عن عبد الله بن عمرو Bهما به وقال الترمذي حسن صحيح غريب وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبي الزاهرية عن عبد الله بن عمرو Bهما عن النبي صلى

ا عليه وسلم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها - ثم قال : فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من ا D - ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبد ا بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي قبيل عن شفي عن رجل من الصحابة B هم فذكره .

ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد ا بن عمرو Bهما قال : إن ا تعالى يقول : إن ا تعالى لما خلق آدم نفثه نفث المزود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النصف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا الموقف أشبه بالصواب وا سبحانه وتعالى أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الحريري عن أبي نصره قال : إن رجلا من أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم يقال له أبو عبد ا دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي فقالوا له ما يبكيك ؟ ألم يقل لك رسول ا صلى ا عليه وسلم خذ من شاربك ثم أفره حتى تلقاني قال بلى ولكن سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلم يقول : [إن ا تعالى قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي] فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة Bهم أجمعين وقوله تبارك وتعالى : { ولو شاء ا لجعلهم أمة واحدة } أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال D : { ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير } .

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي سويد أنه حدثه عن ابن حنبل أنه بلغه أن موسى E قال : يا رب خلقت الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لو ما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه